

سوسيولوجيا جنوح أحداث البيوت القصديرية في المجتمع الجزائري "Sociology of juvenile delinquency in Algerian society"

د.لدرم أحمد، جامعة الشلف-الجزائر

ملخص: يعالج هذا المقال وبالاكتفاء على قراءة سوسيولوجية إشكالية أسباب جنوح الأحداث في البيوت القصديرية من خلال تبيان ما لمؤشرات الوضع الاقتصادي والاجتماعي، الضبط الاجتماعي وكذا التكيف الاجتماعي من علاقة بجنوح أحداث أسر هذه البيوت القصديرية.

الكلمات المفتاحية: البيوت القصديرية، الوضع الاقتصادي، الضبط الاجتماعي، التكيف الاجتماعي، جنوح الأحداث.

Abstract: This article addresses and relying on sociological reading problematic causes of juvenile delinquency in marginal neighborhoods by showing what the indicators of economic and social situation, as well as social control and social adjustment of delinquency related to the events of the families of these marginal neighborhoods.

Keywords: tin houses, economic status, social adjustment, social adjustment, juvenile delinquency.

عرفت الجزائر بعد الاستقلال تحولات سريعة، بفعل السياسة التي انتهجتها الدولة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية من خلال إستراتيجية التصنيع عن طريق البدء بخلق قاعدة للصناعات الثقيلة حيث جاء في الميثاق الوطني لسنة 1976 بأنه يجب على الثورة الصناعية وضع الأسس لصناعة رئيسية قادرة في حد ذاتها خلق صناعات جديدة ستسمح بتنشيط الاقتصاد والصناعة، فإثر هذه الإستراتيجية سجل أن حوالي 100.000 ريفي ينزح إلى المدن سنويا بحثا عن حياة أفضل بإيجاد عمل والاستفادة من الخدمات الاجتماعية الأخرى كالترفيه والصحة المتوفرة في المدن والتي ارتفعت إلى 211 مدينة سنة 1977 بعدما كانت 96 مدينة سنة 1966 (علي مانع، 1996، ص25)، فالزيادة في عدد المدن وما نجم عنها من أزمة سكن وانتشار البطالة والانحرافات والجرائم واصطدام النازحين بواقع يعكس ما نزحوا من أجله، ترجم في انتشار البيوت القصديرية التي أصبحت تشكل حزاما خارجيا للمدن وكثرت بها المشاكل الاجتماعية مثل شرب الخمر، الدعارة وجنوح الأحداث، فكل هذه المشاكل التي سببها التصنيع فرضت على الدولة انتهاز سياسة خاصة للحد من النزوح الريفي والقضاء على البيوت القصديرية فعمدت إلى الثورة الزراعية، وفي هذا الإطار بنيت حوالي 147 قرية اشتراكية في نهاية 1981 قصد تحسين ظروف السكن في الأرياف وتجميع الفلاحين لتسهيل إدارتهم وإمدادهم بالخدمات الاجتماعية اللازمة، غير أن تأثير هذه الثورة على العقلية التقليدية لسكان الريف وخاصة على العائلات الموسعة والمكونة من عدد كبير من الأفراد لم تكن بالقدر الذي يحد من النزوح نحو المدن، وخاصة في عجزها عن توفير الأراضي لمئات الفلاحين الشباب، الشيء الذي جعل البيوت القصديرية تستمر في الانتشار خاصة في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات وذلك إثر التحولات السياسية التي شهدتها البلاد والتي أفرزت ظاهرة الإرهاب الذي صعب على السكان الاستقرار في الأرياف نتيجة الهلع والخوف الدائمين من جراء الاعتداءات الإرهابية التي اضطرتهم إلى النزوح بحثا عن الأمن في المدن، هذه الأخيرة التي تعجز عن تلبية الحاجيات المختلفة للنازحين خاصة فيما يخص السكن، فزاد عدد البيوت القصديرية في الارتفاع فوصل إلى حوالي 400.000 بيت في سنة 2000 ثم ارتفع هذا العدد إلى 520.000 بيت سنة 2003 (فضيل دليو وآخرون، 2004، ص24)، حيث يبين "كلينارد و واينبارغ" بأن للعيش في البيوت القصديرية آثار متعددة على ساكنيها وخاصة الشباب القادم من الريف لأنه أكثر تأثرا بالتمدن وأكثر استعدادا من الجيل القديم للتقبل الحياة الحضرية وعليه فقد يضعف الضبط الاجتماعي التقليدي الممارس على الشباب من طرف العائلة أو الجماعة، ولهذا يترك الأطفال أحرارا يعملون ما يريدون تحت تأثير الحياة الحضرية وجماعات الرفاق وبذلك ينتهي كثير من الأحداث في مهاوي الانحراف والجريمة.

وبناء على ذلك يمكن الولوج سوسيولوجيا لتحليل أسباب جنوح أحداث البيوت القصديرية بالاعتماد على المؤشرات الموضوعية التالية:

- سوء الأوضاع الاقتصادية للأسرة في البيوت القصديرية.

- انعدام الضبط الاجتماعي في البيوت القصديرية.
 - عدم تكيف أحداث البيوت القصديرية مع الحياة الحضرية.
 1. **البيوت القصديرية:** والتي تعرف بأنها السكنات المتركمة والمكتظة المتواجدة على هوامش المدن وتتميز بالنقص في المصالح والتسهيلات (علي مانع، 1999، ص94).
 2. **الأوضاع الاقتصادية للأسرة:** ويقصد بها مدى تمكن الأسرة من تلبية متطلبات أفرادها أو عدم تمكنها بالرجوع إلى: دخلها الشهري أو السنوي أو التأثير المنزلي بالإضافة إلى مستوى الطموح المتوفر ونوع الحي والمسكن الذي تسكنه (حسن شحاتة سغان، 1981، ص112).
 3. **الضبط الاجتماعي:** وهو الرقابة الاجتماعية كما يطلق عليه ابن خلدون أحيانا وهو كافة الجهود والإجراءات التي يتخذها المجتمع أو جزء منه لحمل الأفراد على السير على المستوى العادي والمألوف المصطلح عليه من الجماعة دون انحراف أو اعتداء (سيد أحمد غريب، 2000، ص275).
 4. **التكيف الاجتماعي:** يعد "روبرت بارك" و"أرنت برجس" من الأوائل الذين درسوا التكيف وحددا مفهومه فيما يلي: هو عملية اختراق واندماج خلالها يكتسب الأفراد والمجموعات ذكريات ومشاعر ومواقف من مجموعات وأشخاص وذلك بمقاسمتهم تجاربهم وتاريخهم ليندمجوا معهم في حياة ثقافية مشتركة (علي الكبير ياسين، 1982، ص13).
 5. **جنوح الأحداث:** يشير كل من "مرتون" و "كلينارد" إلى أن جنوح الأحداث هو ذلك السلوك الخارج بشكل واضح وجوهري عن القوانين والمعايير أو الخروج عن المعايير بدرجة كافية تتجاوز حدود المجتمع، وغالبا ما يكون هؤلاء الخارجين تحت سن الرشد القانون (سعد الدين الخالق والسيد رمضان، 1991، ص15).
- فتبعاً للمؤشرات الموضوعية المستوحاة من الواقع السوسيوبسيكولوجي للبيوت القصديرية، والتي تم اختيارها بناء على الدراسات الايكولوجية المفسرة لجنوح الأحداث في الأحياء الهامشية من منطلق التفاعل داخل شبكة العلاقات الاجتماعية لثقافة فرعية بنيت على هامش المدينة وأنقاد المجتمع الريفي بكل ما يحمله من قيم وعادات وتقاليده وطرق عيش، يمكننا أن نقدم تحليلا موضوعيا للأسباب التي تدفع بأحداث البيوت القصديرية في المجتمع الجزائري إلى ارتكاب مختلف الانحرافات والجرائم، وذلك من خلال التطرق بالتفصيل إلى كل مؤشر تم اختياره.
- أولا. سوء الأوضاع الاقتصادية للأسرة في البيوت القصديرية**

إن لسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البيوت القصديرية تأثير على الجانب المادي والمعنوي للأحداث بحيث تدفع بهم إلى الجنوح، ويرجع ذلك إلى ما يلي:

- إن عدد الغرف القليل وحجم الأسرة الكبير في البيوت القصديرية يؤدي إلى الجنوح، فالعيش في مسكن مكتظ يخلق ضغوطا وتوترا فهو يؤدي إلى نقص الخلوة وبالتالي قد يساهم في الجنوح الجنسي كما أن الوالدين ومن أجل الحصول على الخلوة والراحة والهدوء يجبرون على طرد الأبناء إلى الشارع حيث تتوفر فرص كبيرة لارتكاب الانحرافات، ويعود سبب هذا الاكتظاظ إلى عدم ملائمة السكنات التي يقطنها هؤلاء النازحين مع حجم العائلة الكبير، فهي لا تتعدى في الغالب غرفتين خاصة مع ذهنية النازح التي تعتبر السكن في هذه الأحياء أمر مؤقت ولا يعمل على توسيعه، ومع انعدام المساحات الخضراء ومساحات لعب الأطفال التي تدفع الأطفال وتحت تأثير الملل إلى تعلم السلوكيات المنحرفة والاندماج ضمن الزمر المنحرفة، كما قد يؤدي هذا الاكتضاض إلى المشاكل الأسرية وبخاصة إلى الطلاق بفعل العيش في أسر موسعة، مما ينعكس سلبا على الأطفال فيكبون في محيط مفكك اجتماعيا تكون نهايته الجنوح. (أبو السعد كامل الجندي، 1971، ص22).

- تتميز أسر البيوت القصديرية بالدخل القليل الذي لا يلبى متطلباتها وخاصة ما ينتظره الأطفال من حاجيات مختلفة كاللباس والترفيه، وإذا عجزت الأسرة عن تلبية متطلبات الحدث فإنه قد يلجأ إلى السبيل غير المشروع لإشباع حاجياته فيرتكب بعض الانحرافات كالإعتداء على الأموال بالسرقة التي قد يستعمل فيها الاعتداء جسديا على الأفراد الذين يعترضون طريقه (عبد الرحمان محمد العيساوي، 2001، ص45).

فالدخل الغير كاف يحد من طموحات الحدث ويقف عائقا أمامه لبلوغ مستوى الطموح الذي يسطره، الشيء الذي يجعله يستعمل جميع الطرق المشروعة منها وغير المشروعة لبلوغ مستوى هذا الطموح فيسقط في مهاوي الانحراف والجريمة خاصة إذا رأى تأييدا من أسرته أو لا مبالاة منهم على ذلك، كما أن الدخل القليل يقترب بسوء التغذية وهذا يترتب عليه عدم القدرة على المقاومة، فالحدث إذا رأى والديه أو من يعيله غير قادرين على الإنفاق عليه فإنه يلتزم ذلك في جماعات غير الأسرة فتفتح له الجماعات المنحرفة كجماعات السرقة والمخدرات نراعيها لينحدر بعد ذلك معها في الاعتداء على الآخرين.

- يعتبر الفقر عاملا مهما في تفسير جنوح الأحداث، ويمكن إرجاع هذا الفقر إلى تقلب الاقتصاد الجزائري وانتقاله من الاقتصاد الموجه إلى الاقتصاد الحر، فخلال الثمانينيات كان المجتمع يعيش حالة من الرخاء وبداية من التسعينيات وبفعل غلق المؤسسات العمومية التي كانت تضم عددا كبيرا من العمال الذين تم تسريحهم أصبحت القدرة الشرائية للمواطن ضعيفة، الشيء الذي يفسر جنوح أحداث الأسر الفقيرة بنسبة كبيرة نظرا لعدم إشباع حاجياتهم واعتماد أفرادها على دخل الأب فقط (علي بوعناقة، 1984، ص56).

- إن نظرة الحدث في البيوت القصديرية إلى أسرته بأنها فقيرة يولد لديه نقص وإحباط خاصة في مرحلة المراهقة، لهذه الأسباب فهو يميل إما للانتقام من أسرته وذلك بإحكامها في المشاكل التي يحدثها هو نتيجة عجزها عن توفير حاجياته، وإما يحاول الدفع بها نحو تحسين ظروفها بأي

وسيلة كانت مشروعة أو غير مشروعة وفي كلا الحالتين تكون نهايته في الانحراف وحتى ارتكابه بعض الجرائم (علي بوعنافة، 1984، 59).

- انعدام المتطلبات الأساسية في البيوت القصديرية وسببها هامشية هذه الأخيرة وعدم انتمائها إلى المحيط العمراني للمدن، فيضطر سكان الأحياء القصديرية إلى إيصال الكهرباء مثلا بالطرق غير الشرعية للاستفادة منها، الشيء الذي يبين ملامح الانحراف عن القوانين الضابطة للمجتمع، وهذه السلوكات تنتشر بفعل التنشئة الاجتماعية فتصبح من بين السلوكات غير الإنحرافية عند هؤلاء السكان وبذلك تكون ثقافة فرعية تشكلت على هامش الثقافة السائدة في المدينة.

كما أن انعدام شبكات الماء الشروب في الأحياء القصديرية تجبر الآباء على الدفع بأولادهم إلى جلب الماء من الحنفيات العمومية التي تشب فيها المنازل والاعتداءات بين الأحداث نتيجة كثرة الطلب على الماء وعدم توفر الحنفيات بالقدر الذي يلبي متطلبات هؤلاء.

إن عدم توفر أنابيب صرف المياه القذرة في البيوت القصديرية يعود إلى نفس السبب وهو هامشيتها، حيث يضطر البعض منهم إلى ربط هذه الشبكات بالخنادق والبعض الآخر متروك في العراء مما يتسبب في انتشار الروائح الكريهة وكثرة الحشرات الضارة وخاصة في فصل الصيف، الشيء الذي يدفع أحداث هذه الأحياء إلى مغادرة أحيائهم والتوجه إلى أحياء مجاورة أين ينعدم الضبط الأسري ويقدمون على السلوك المنحرف نتيجة تعرفهم المستمر على بعض المجموعات المنحرفة التي تروج للمخدرات والسرقة.

- نتيجة لعدم توفير هذه الأسر لأبنائها اللباس الجديد والألعاب الترفيهية، فاللباس أصبح ضرورة ملحة في عصرنا الحاضر، فهو يحدد الطبقة الاجتماعية للفرد ويجلب له إما الاحترام أو المهانة، فالأحداث الذين لا توفر لهم أسرهم اللباس الجديد والمحترم فإنهم يشعرون بالنقص ويصعب عليهم الاندماج في المجتمع، كما يتعرضون للسخرية وعدم الاحترام من طرف زملائهم، لذا فإن الأحداث أصبحوا يتجهون إلى العمل بغض النظر عن نوعه سواء طفيليا أو نظاميا مهملين بذلك الدراسة فيسقطون في الانحرافات كل هذا لشراء ما يلزمهم من المتطلبات وأولها اللباس الجديد، تحت تأثير الموضات العالمية التي غزت السوق الجزائرية بفعل الانفتاح الاقتصادي الذي شهدته الجزائر خلال السنوات الأخيرة والذي أثر على عقلية المجتمع حيث أصبح اللباس من المفارقات بين الأطفال والمراهقين وحتى الكبار الذين أصبحوا يتخذون من اللباس أولى الضروريات والمتطلبات الحياتية (محمد سلامة ومحمد غباري، 1989، ص112).

كما أن حاجة الأحداث للترفيه غالبا ما تعوض بمصاحبة مجموعات منحرفة للحصول على هذه الألعاب الترفيهية عن طريق السرقة واللعب في قاعات الألعاب التي أصبحت تشكل ملتقى الأحداث والكبار، في ظل انعدام المساحات الخضراء ومساحات اللعب الجوارية في أغلب الأحياء الجزائرية، الأمر الذي يجعل هؤلاء الأحداث يتفاعلون مع الجميع، حيث أن هذه القاعات أصبحت أوكارا تروج فيها المخدرات ويتم فيها التلاقي للتخطيط لشتى الانحرافات وخاصة

السرقه، فتفاعل الحدث مع هذه المجموعات خاصة في غياب الضبط الأسري يجعله يسقط في الانحراف.

- إن أحداث البيوت القصديرية هم أكثر عرضة للجنوح إذا كانوا متسربين من المدارس وبدون عمل فانعدام الدخل والنشاط الاقتصادي يخلق ضغوطا معتبرة على سقوط الأحداث في البدائل غير القانونية والمضادة للمجتمع، ففي ظل البطالة يجد الحدث نفسه منبوذ من طرف أسرته وغير قادر على توفير متطلباته، الأمر الذي يجعله يقبل على إتحاد السرقه والسلوكات الانحرافية الأخرى بديلا للحصول على ما يريد، كما قد يحاول الانتقام من أصحاب الأموال بفعل مركب النقص نتيجة الفقر والحاجة، فهو يرى بأن جميع من يملك المال عدوا له، أو قد أخذ نصيبه منه عنوة، وهذا ما تفسره الأعمال التي يقوم بها بعض الأحداث كسرقه الدكاكين ثم الإقبال على تحطيم ما تبقى من السلع أو إفسادها لكي لا تصلح للاستعمال مرة أخرى (رأفت محمد نسيم، 1960، ص54).

وإذا كانت البطالة تعرض أحداث البيوت القصديرية للجنوح، فإن بعض أنواع الأعمال الطفيلية تعتبر مفسدة لسلوك الحدث أخلاقيا واجتماعيا حيث أنها توفر فرصا وحوافز لمخالفة القوانين الضابطة للمجتمع، نتيجة لما تلحقه من نتائج سلبية على الحدث، فأعمال بيع التبغ تساعد على تعلم التدخين الذي يقود بدوره إلى تعلم تناول المخدرات التي ينتهي متناولها في السقوط في شتى الانحرافات تحت تأثير الإدمان، كما أن البيع في السوق السوداء الذي يجعل الحدث يتفاعل مع جميع الشرائح الاجتماعية ومع شخصيات مختلفة من الباعة الذين قد يكونوا منحرفين فيتعلم الحدث منهم الغش في السلع والتحايل على القوانين، الشيء الذي يحفز الحدث على تعلم عصيان القوانين والهروب من ما من شأنه الاعتدال والسوية، كالغش في السلع قصد الحصول على أكبر قدر ممكن من المال بدون بذل جهد كبير وبدون تسديد الضرائب والرسوم.

كما يتم توظيف أحداث البيوت القصديرية في مقاولات البناء وفي أعمال أخرى بدون ضمان اجتماعي نتيجة لصغر سنهم، فالسن القانونية للعمل في الجزائر محددة بـ18 سنة، مستغلين بذلك هؤلاء الأحداث إما لأنهم لا يطلبون أجور كبيرة لجهلهم للرواتب التي يقدمها هؤلاء المقاولين أو لرضاهم عن تلك الرواتب قصد المصروف الشخصي وتوفير المتطلبات الشخصية فقط.

هذا الاستغلال من طرف المقاولين يؤدي إلى نشوب منازعات و مشاجرات نتيجة عدم دفع أجور هؤلاء الأحداث أو التأخر في دفعها، الشيء الذي يدفع بهم إلى اتخاذ بعض صور الانحراف لنيل أجورهم وخاصة الاعتداءات الجسدية على أصحاب هذه المقاولات، بالإضافة إلى احتمال تعلم الأحداث بعض السلوكات المنحرفة من العمال الكبار كالتهاون وعدم القيام بالعمل على أحسن وجه.

- إن لعمل الحدث في الأعمال الصعبة يترتب عليها آثار نفسية تكمن في شعور الحدث بالنقص في شخصيته وهو أقل من الآخرين حيث يرى أقرانه يعيشون حياة رغيدة ومتوفر فيها مقومات

الأسرة الناجحة وهو محروم من ذلك، ويسوء تكيفه الاجتماعي مع نفسه ومع الآخرين وتكوين شخصية ضعيفة في المستقبل، كما يصاب الحدث بكثير من الأمراض في الفقرات والعظام نتيجة القوة والضغط التي تحتاجها المهن التي يعمل بها فهي أكبر من قدراته وطاقاته (جلال الدين عبد الخالق، 1991، ص82).

ثانيا. انعدام الضبط الاجتماعي في البيوت القصديرية

يعتبر الضبط الاجتماعي من بين أهم المكنزمات المسؤولة عن كبح جموح الحدث وعدم انغماسه في مهووي الانحراف نظرا لما يوفره من أساليب تنشيطية قائمة على معايير وقيم المجتمع السوية، و يكمن انعدام الضبط الاجتماعي في البيوت القصديرية من خلال ما يلي:

- في الغالب تعتمد أسر البيوت القصديرية على الضرب كأسلوب تأديبي، وهذا الأسلوب أسلوب غير سليم للتأديب فهو يقضي على الحب، الثقة بالنفس وروح الإبداع كما يحط من احترام الطفل لذاته ويولد الغضب لديه كما يخلق عنده سلوك العصيان، فالطفل إذا ألف الضرب يصبح بليدا ويلجأ لتحقيق ذاته بأساليب منحرفة، وإستعمال أسر هذه البيوت لهذا الأسلوب التأديبي يرجع إلى واقع العائلة الجزائرية التي تتميز بصفتين أساسيتين أولاها عدم الإقناع والمكافئة، وثانيها الاهتمام بالعقاب الجسدي والتلقين، لذا تبنى شخصية الطفل مضطربة ميالة إلى الانحراف وقائمة على الخوف أكثر مما تتميز بالحب والاحترام، فهي بذلك تدعم نزعة الامتثال وتضعف طاقة الإبداع والتجديد (عبد الرحمن محمد العيسوي، 2000، ص82).

وتستعمل أسر البيوت القصديرية أيضا عقوبتي الطرد من المنزل واللامبالاة، والطرد من المنزل يقتصر في غالبه بالفترات التي تظهر فيها النتائج المدرسية، فالحدث إذا تحصل على نتائج دراسية ضعيفة وطرد من المنزل فإنه يكون عرضة لعدة مخاطر خاصة الاستغلال الجنسي من طرف المتشردين الكبار بالإضافة إلى احتمال تعرضهم لتناول المواد المخدرة التي يتحصلون عليها مجانا من طرف مروجي المخدرات لمحاولة استغلالهم مستقبلا في الترويج بفعل إدمانهم على هذه العقاقير.

كما أن لامبالاة أسر البيوت القصديرية بالسلوك الذي يصدره الحدث مهما كان نوعه كعدم سؤاله حتى عن تصرفه وعن حاجاته الاجتماعية، أو عدم الاهتمام بالنتائج المدرسية التي يتحصل عليها الحدث كان يشجعه ويفرح به حين يتحصل على نتائج جيدة ويؤنبه تأنيبا محترما إذا تحصل على نتائج ضعيفة ويشجعه على بذل الجهد للحصول على نتائج أحسن، وكذلك حين قيامه بالسلوكات المنحرفة في البيت والشارع، فاللامبالاة تشعر الحدث بالإحباط والفراغ العاطفي وبعدم الاهتمام كما تهز ثقته بنفسه وتعرض شخصيته للاضطراب وبصعب عليه التكيف في المجتمع، ويتجه إلى ممارسة السلوك العدواني انتقاما من الواقع الذي يعيشه إما داخل الأسرة بكراهيته لوالديه وعصيانهم أو خارج الأسرة بتعديه على الأشخاص والممتلكات العامة والخاصة بالسرقه والتعطيم.

- نظرا للضبط الموجود على مستوى هذه على مشاهدة التلفزيون بفعل ضيق المسكن وعدم تمكن الحدث من الخلوة لمشاهدة ما شاء من البرامج وخاصة الجنسية منها، فهو يعمد إلى تعويضها باللوحات الالكترونية وبالهواتف الذكية الموصولة بالانترنت والتي شاع استعمالها في المجتمع الجزائري وعلى نطاق واسع، فأصبح أحداث البيوت القصديرية على وجه الخصوص يعتمدون عليها سواء لمشاهدة الفيديوها الجنسية أو بالمكالمات الهاتفية المثيرة للشهوة الجنسية مع الجنسنيين، خاصة في ظل انعدام الضبط الأسري الناجم عن بحث الوالدين عن الخلوة، فهم يتجاهلون دخول أبنائهم في أوقات متأخرة من الليل مما يترك المجال للحدث ليأخذ كل حريته في ممارساته الانحراف عامة والجنسية خاصة (حسين رشدي، 1983، ص12).

- نظرا لعدم انتماء البيوت القصديرية للمحيط العمراني للمدن باعتبارها هامشية فإن دوريات الأمن فيها تكاد تكون منعدمة مما يقلل الضبط الاجتماعي القانوني، فيجد الأحداث نوعا من الحرية في القيام ببعض السلوكيات المنحرفة خاصة وأن هذه الأحياء تتميز بضيق أزقتها وعدم وجود الطرق والشوارع التي تمر منها الدوريات داخلها، حيث يقوم رجال الأمن ببعض الدوريات النادرة على أطرافها.

- إن نقص دوريات الأمن في هذه الأحياء القصديرية يساعد على تنامي السلوك المنحرف بين الأحداث، بفعل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها هؤلاء في هذه الأحياء التي تتميز أيضا بكثرة السكان، حيث يكون الأطفال في حالة ضياع وفراغ تام نتيجة عدم وجود مساحات للعب والوسائل الترفيهية المنعدمة فهم بذلك لا يستطيعون أن يحسنوا استغلال أوقات فراغهم، مما يدفعهم للسلوك المنحرف تحت تأثير جماعات الرفاق والجماعات المنحرفة التي تفر إلى مثل هذه الأحياء هربا من رجال الأمن لاقتدار المنطقة إلى الأمن والطمأنينة إذ لا يوجد بها نقطة شرطة أو نقطة إطفاء، خاصة وأن المنطقة بها الأماكن التي قد تأوي والمجرمين وغيرهم من المسجلين خطر مما يعرض أهالي المنطقة للعديد من الأخطار، كذلك عدم وجود نقطة إطفاء يؤدي إلى حدوث الكثير من الخسائر عند حدوث حرائق حيث أن أسطح المنازل تغطي بكميات كبيرة من القش ومخلفات الحيوانات ، وكلها قابلة للاشتعال السريع (علي بو عناق، 1984، ص62).

كما أن عدم تدخل رجال الأمن حين وقوع شجارات في الأحياء القصديرية يعود إلى طبيعة هذه الأحياء التي تتميز بأزقة ضيقة تحول دون مرور مركبات "سيارات" الأمن بالإضافة إلى عدم التبليغ عن هذه المشاجرات بفعل عقلية أصحابها الذين في أغلبهم من النازحين الريفيين فهم يعملون على حل تلك المشاجرات بينهم لكون أغلبهم من القرابة أو العشيرة الواحدة، هذا ما يساهم في تنامي السلوك المنحرف وذلك نتيجة انعدام الضبط الاجتماعي القانوني الذي يمثل الأمن، كما أن عدم التدخل هذا يساهم في تفشي ظاهرة جنوح الأحداث بتعلم الأحداث بعض السلوكات المنحرفة تقليدا للكبار وخاصة الاعتداءات الجسدية بفعل الازدحام الذي يميز هذه الأحياء نتيجة كثرة عدد السكان فالأحداث يتشاجرون لأتفه الأسباب تحت تأثير الملل.

يضاف إلى ذلك معرفة أحداث البيوت القصدية للأماكن التي لا تستطيع الشرطة الدخول إليها تساعد على فقدان الأمن لهيبته في نفسية الأحداث مما يؤدي إلى انتشار السلوكات المنحرفة في صفوف الأحداث خاصة و أن الجماعات المنحرفة التي يقودها كبار السن هي التي تحتضن هؤلاء الأحداث في مرحلة أولى عند هروبهم من الأمن وتساعدهم على معرفة التقنيات والأساليب المحترفة للفرار من قبضة الأمن الشيء الذي يساعدهم على مواصلة ممارسة الانحراف.

ثالثا. عدم تكيف أحداث البيوت القصدية مع الحياة الحضرية

النزوح الريفي الذي حدث في المجتمع الجزائري خلال سنوات التسعينيات هو عبارة عن تهجير للسكان الذين وجدوا أنفسهم مجبرين على حياة حضرية وهم غير مؤهلين لدخولها، فوجدوا أنفسهم يعيشون على هامش المدينة في بيوت قصدية نتيجة غلاء المساكن لكثرة الطلب عليها، كما أن فقدانهم لممتلكاتهم وأموالهم بفعل سوء الوضع الأمني جعلهم يعيشون حياة مزرية من الفقر مما انعكس سلبا على الأطفال الذين انقطع معظمهم عن الدراسة واتجهوا إلى العمل لمساعدة الأسرة، ويتمظهر عدم تكيف أحداث البيوت القصدية مع الحياة الحضرية في المؤشرات الآتية:

- عدم انتماء أحداث البيوت القصدية للنوادي الرياضية والجمعيات الثقافية، باعتبار أن هذه الأحياء ليست تابعة إلى الهيكل العمراني للمدن وبالتالي لا توجد بها مثل هذه النوادي والجمعيات، الشيء الذي يساعد كعامل أساسي على صعوبة التكيف مع الحياة الحضرية، فالجمعيات الثقافية والنوادي الرياضية تعمل على تنشئة الحدث على المبادئ السامية للمجتمع كما تمكنه من التعرف على أصدقاء جدد من عدة أحياء ومن عدة مدن أخرى بفعل الدورات الرياضية والثقافية التي تقوم بها الجمعيات الثقافية والنوادي الرياضية خارج المدن، فتفاعل الحدث مع المجتمع من خلال هذه الجمعيات يجعله يتعرف على عادات وتقاليده الحضرية الأمر الذي يسهل عليه عملية التكيف الاجتماعي كما يساعده على التخلص من الانطواء الذي يقوده إلى السلوكات المنحرفة نتيجة صعوبة تكيفه مع المجتمع الحضري لتعوده على الحياة الريفية القائمة على علاقات بسيطة وغالبيتها علاقات محصورة النطاق على الأسرة أو العشيرة.

- قضاء أحداث البيوت القصدية أوقات فراغهم في اللعب داخل أحيائهم دون الاحتكاك بأحداث الوسط الحضري يبعد المسافة بينهم وبين التكيف الاجتماعي مع الوسط الحضري، لأن الاحتكاك والتفاعل مع أفراد من المدينة يمكنهم من التعرف على الأفكار الجديدة والعادات والقيم التي تميز المجتمع الحضري عن المجتمع الريفي، كما تمكنهم من كسب اللغة أو اللهجة المتداولة في تلك المدينة مما يسهل عليهم عملية الاتصال كمرحلة أولى نحو عملية التطبيع الاجتماعي التي تقود إلى التكيف، كما أن قضاء وقت الفراغ في الجلوس في البيت يعزل الحدث عن المحيط الخارجي ويجعله يجهل ما يدور في الخارج مما يدفعه إلى الانطواء ويصعب عملية الاتصال

في حياته اليومية خاصة في ميدان الدراسة الشيء الذي يجعل من تكيفه مع المحيط الحضري أمرا صعبا بل ومستحيلا (محمد حجازي، 1995، ص50).

-العيش في حي قصديري يجعل رضا الحدث عن منزله أمرا مستحيلا لشعوره بالمهانة وعدم الاحترام من سكان الأحياء المحترمة، بالإضافة إلى انعدام النظافة وكثرة السكان التي تولد الازدحام الشديد في تلك الأحياء التي تكثر فيها المشاجرات والاعتداءات لأتفه الأسباب بفعل هذا الازدحام، فعدم رضا الحدث عن منزله لهذه الأسباب يصعب عليه عملية التكيف الاجتماعي باعتبار أن الاستقرار هو أساس التكيف وخاصة نوع المسكن ونوع الحي الذي ينتمي إليه، فالحي الذي تكثر فيه المشاجرات بين الجيران وعدم الاحترام يصبح حيا منبوذا لا يقصده الأفراد المحترمين وبذلك يكون وبال سوء على أهله مما يجعلهم في عزلة عن المجتمع الكبير خاصة إذا كان هذا الحي يتميز بانتشار الرذائل الاجتماعية الدعارة والمخدرات والإجرام كالأحياء القصديرية والأحياء التقليدية الشعبية (Anne Muscle, 1996, p15).

كما أن عدد الغرف القليل وكثرة عدد أفراد الأسرة يجعل الأحداث غير راضين عن مساكنهم نظرا للضييق والازدحام داخل البيت مما يجعل الفرد يحس بنوع من الحرمان الاجتماعي خاصة إذا كان أفراد الأسرة مكونين من الجنسين ذكورا وإناثا مما يجعل الراحة مستحيلة بفعل انعدام الخلوة، فالضييق يجبر الجنسين على النوم في غرفة واحدة الشيء الذي يولد الإحباط والاستياء فيفضل الحدث قضاء معظم أوقاته خارج البيت مما يجعله عرضة لعدة إغراءات توصله إلى السلوك المنحرف.

-تعود أسر البيوت القصديرية زيارة الأقارب ببقية قائما عند قدومهم إلى المدينة، مما يؤكد أن المجتمع الريفي قائم على العلاقات القرابية، إلا أن علاقاتهم مع جيرانهم صلاتها ضعيفة فهم لا يتبادلون الزيارات إلا في بعض الأفراح أو الأفراح بسبب الرغبة في المحافظة على بعد المسافة الاجتماعية بينهم وبين جيرانهم لأن ذلك يؤدي إلى فقدان خصوصيات العائلة الكبيرة وتقاليدها التي تميزها عن غيرها (محمد عاطف غيث، د س، ص22).

فالنازح الريفي لا يستطيع أن يجبر نفسه على التفاعل مع شخص أو مجموعة أخرى تختلف في نشأتها وتكوينها الاجتماعي دون أن يكلفه موقف التفاعل هذا خسارة سمات رئيسية في شخصيته وفي قيمه المرتبطة بطروف نشأته وهنا يكون حظ التكيف ضعيفا اعتبارا للكلفة النفسانية التي يتطلبها هذا الموقف ولقيمتها المعنوية كالتنازل عن بعض القيم أو المبادئ فهو يعزف عن زيارة أسر جيرانه للحفاظ على طبيعة الأسرة وقيمتها.

- انشغال أسر البيوت القصديرية بشؤون أسرهم الداخلية والتي في أغلبها إحصاء المتطلبات الضرورية وكيفية ومواجهة صعوبة العيش بفعل الظروف الاقتصادية الصعبة يحول دون تفكيرهم في زيارة الأسرة القريبة منهم نتيجة محدودية الدخل أو انعدامه، إلا أنهم ينشغلون في بعض الأحيان بشؤون الأسرة الكبيرة "الممتدة" أي امتداد مجال الاهتمام إلى ظروف وأحوال

الأهل والأقارب المقيمين في نفس الحي أو المدينة كشكل من أشكال الارتباط العائلي الممتد على غرار ما كان يحدث في الأسرة الممتدة وهو ما يفسر زيارتهم لأسر الأهل والأقارب (محمد عاطف غيث، د. س، ص28).

هذا الاهتمام المغلق المترجم في زيارة أسر الأقارب على حساب أسر الجيران يؤثر تأثيرا بارزا على عدم قدرة أسر البيوت القصديرية بناء علاقات جديدة تساعدهم على التكيف مع المجتمع الحضري الشيء الذي ينعكس سلبا على الأطفال ويقودهم إلى الانحراف نتيجة انغلاق أسرهم على نفسها، فهم لا يجدون وسيلة للاتصال بالعالم الخارجي ابتداء من تنشئتهم على إقامة علاقات اجتماعية محدودة النطاق وعدم تعرفهم المستمر على بعض الأفراد الجدد والأصدقاء الذي يساهم في تكيفهم مع الحياة الحضرية من خلال الاختلاط الذي يقود إلى معرفة أفكار وقيم جديدة تكون أسرهم على جهل بها.

كما أن أحداث أسر البيوت القصديرية العاملين ونظرا لكثرة ساعات العمل وانغماسهم في نشاطات الكبار يجعلهم لا يجدون وقتا للعب أو الراحة، مما يفقدهم الاستمتاع بطفولتهم، كما أنهم يفقدون القدر المناسب والملائم للانتماء إلى المحيط الحضري، لعدم تمكنهم من أن يكونوا أصدقاء، حيث أن الصداقات تمتد الأحداث بإدراك واقعي لذاتهم، كما أن تواجدهم في العمل طوال اليوم يضعف ولاءهم وانتمائهم لأسرهم الأمر الذي يصعب عليهم الاندماج في المحيط الحضري لأن الفرد إذا تعذر عليه إقامة علاقات مع أسرته فإنه يستحيل عليه أن يقيم علاقات خارجية.

توفر المدينة على طبقات اجتماعية وثقافية يحول دون قدرة سكان البيوت القصديرية على التكيف فالمدينة تكون مقسمة إلى أحياء تسكنها فئات اجتماعية معينة كالإطارات، المثقفين، العمال البسطاء البطالين والفقراء، والأثرياء، فهذه الظاهرة التي تميز غالبية أحياء الجزائر تقف وراء تفكك الروابط الاجتماعية وتسهم في ظهور عدم التجانس الاجتماعي بين السكان، الشيء الذي يؤثر على سكان البيوت القصديرية الساكنين في الأحياء المنحطة اجتماعيا، فهو لا يستطيع حتى الاتصال بالمجتمع الحضري لانتمائه لطبقة اجتماعية معينة فيكون بذلك قد نبذ مما يجعله يتوجه إلى السلوك المنحرف للفت انتباه المجتمع الذي نبذه ويعمل على أن يجد لنفسه موقعا ولو على حساب إخلاله بالنظام العام للمجتمع وذلك بالتعدي على قوانينه (سيد أحمد غريب، 2000، ص27).

خاتمة:

إن أفضل علاج لظاهرة الجنوح في البيوت القصديرية حسب رأينا هو الوقاية الأولى من هذه الظاهرة قبل لمنع تهيئة الظروف المساعدة على وقوعها، فالطرف الأول المعني برعاية الأطفال والشباب هو الأسرة و بالتالي يجب رعايتها وتوعيتها بدورها وتدعيمها ومساعدة الفقيرة منها لتأمين أحسن الظروف لتنشئة أطفالها، وهذا من منطلق أن جنوح الأحداث في البيوت القصديرية

هو جنوح فقر واحتياج لأنه مرتبط في غالب الأحيان بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة إلى انعدام الضبط الأسري وكذا عدم تمكن هؤلاء الأحداث من التكيف مع الحياة الحضرية، حيث أثبتت الإحصائيات أن أعلى نسب الجرائم المرتكبة تتعلق بالسرقة وأن أغلب الأحداث الجانحين منحدرين من أسر فقيرة وبالتالي فإن هؤلاء ليسوا مجرمين بل يعتبرون ضحايا لهذه الظروف.

ولا يمكن تجاهل دور الدولة في هذا المجال، فهي مطالبة في إطار العمل الوقائي المسبق من الجنوح بأن تجد الحلول لظاهرة انتشار البيوت القصدية، إما بتوفير سكنات محترمة لهؤلاء السكان، وإما بالحد من ظاهرة النزوح الريفي وذلك بتوفير شروط الحياة الكريمة في الأرياف من خلال الاعتماد على برامج تنموية تأخذ في الحسبان هذا الجانب.

قائمة المراجع:

1. أبو السعد كامل الجندي (1979)، انحراف الأحداث والجناح، دار المعارف، القاهرة، مصر.
2. أحمد غريب (2000)، علم الاجتماع و دراسة المجتمع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
3. جلال الدين عبد الخالق والسيد رمضان (1991)، الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.
4. حسن شحاته سغفان (1981)، دراسات في علم الاجتماع الاقتصادي، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر.
5. حسين عبده رشدي (1983)، بحوث ودوريات في المراهقة، دار المطبوعات الجديدة، القاهرة، مصر.
6. رافت محمد نسيم (1991)، لماذا ينحرف الأطفال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر.
7. سعد الدين عبد الخالق والسيد رمضان (1991)، الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.
8. عبد الرحمان محمد العيسوي (2001)، سيكولوجية الجنوح والانحراف والجريمة. ط1، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان.
9. عبد الرحمن محمد العيسوي (2001)، سيكولوجية الانحراف والجنوح والجريمة، ط1، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان.
10. علي الكبير ياسين (1982)، المهاجرون في طرابلس، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، لبنان.
11. علي بوعناقة (1984)، الأحياء غير المخططة وانعكاساتها النفسية والاجتماعية على الشباب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر العاصمة، الجزائر.

12. علي مانع(1996)، جنوح الأحداث في الجزائر المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الجزائر.

13. غريب سيد أحمد(2000)، علم الاجتماع ودراسة المجتمع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

14. فضيل دليو وآخرون(2004)، التحديات المعاصرة، مخبر علم الاجتماع والاتصال، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.

15. محمد حجازي(1975)، الأسرة والتصنيع، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

16. محمد سلامة، محمد غبارة(1989)، مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث.المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.

17. محمد عاطف غيث(د.س)، المشكلات الاجتماعية والسلوك الإنحرافي. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

18. Anne Muscle (1996), Individu et memoire familiale. Edition Nathan, Paris, France.